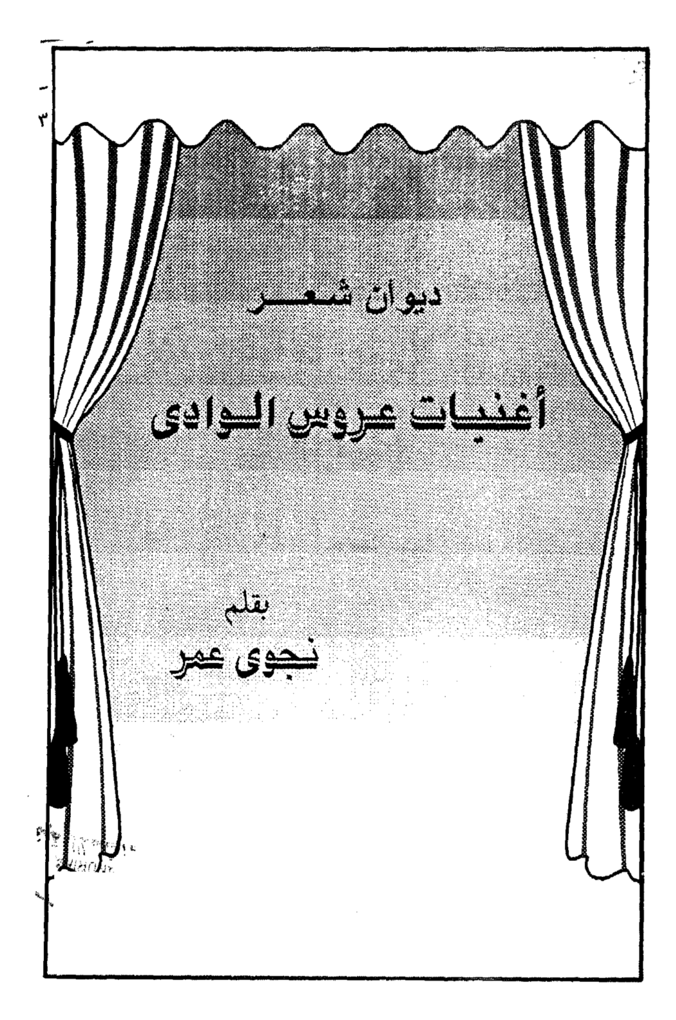
ديوان شعر

أغنيات عروس الوادى

بقلم

نجوى عمر


ديوان شعـــر
أغنيات عروس الوادى
بقلم
نجوى عمر

إهــداء

إلى كل مَن ضاعت منه

أمنيةُ بالرِّى

فى صحراء الحياة

نجــوى

مفتتح

أنا ـ يا رفيقي ـ لستُ أغمس في ضباب الحلم قافيتي ،

وألهو بالحروف .

أنا ـ القصيدة تستحيل لديَّ عقداً من لهيب

الثورة الكبرى تأجّج في العروق ..

أنا أغني للخلود نشيد حب ...

ميلاد أغنية

تَرتعشين بغير دموع ∴ تنسابين خلال دمي
وتجولينِ ربوع حياتي ∴ وتبيحين الصمتَ فمي
يا أغنيةُ وهبتُ العمر ∴ لكي تنتظم بلا قلمِ
ذُبتُ لكي أجعله ينظمها ، أو يعزفها .. لم تنتظمِ
البحر عصيّ ، والأوتار أبَتْ ، والقافيةُ نأتْ في شمَمِ
بتُ أغني من غير لحونِ ، فانتثرت بين متاهات الصمّم
وَدَّ الكونُ بأن أصمتَ ∴ لكني أستعذب كَلِمي
فمضيتُ أبيح العالَمَ أعذبَ ألحانِ الألمِ
همسوا : تكسرُ وزنَ الشعرِ ، وصرخوا تجترئ على النّغمِ
لم يلتفتوا لدموعٍ فاضت في صدري ، وهوىً أفْلَتَ .. لم ينكتمِ
أذللتُ كلاماً بِكْراً ، وأَهَنْتُ كِرامَ معانٍ لم تَنْهَزمِ
لو كنتُ أدينِ بشرع الوأد ، لَجِئْتُ اليومَ بلا تُهَمِ
لكني شاعرةٌ .. تضعف عند فتاتِ الكلمات
ويستوقف همسُ الأحرفِ قدمي

١٩٩٦

المتنبـى

• يا وزرائى .. أين أمير الجيش ؟ أجيبوا ..

❋ها أنذا يا سيف الدولة .. ماذا تأمر ؟

• عند صباح اليوم الرابع ـ يوم الجمعة ـ

نغزو الروم ، فكيف ترى إعداد العسكر ؟

سترافقنى الآن أطوِّف بين صفوف الجيش

فأعرف ، ثم أُقَدِّر ..

❋سمعاً يا مولاى ، ولكن .. فى إمكانك تعرف منى ..

• حقاً .. حقاً .. جيش الروم تراهم أكثر منا عدداً ؟

❋يا مولاى ـ بإذن الله ـ النصر حليفك .. نحن الأكثر

• حسناً .. جهِّز جيشك حقاً كيف أريد ،

كما حددنا نبدأ يوم الزحف الأكبر .

آهِ .. آهِ .. كيف نسيت ؟!

مَنْ سيشيد بنصرى الأعظم ؟

مَنْ سيعدِّد قطع الجيش ، ويصف الحرب ، وكيف تُدَبَّر ؟

مَنْ سيقول : كأن رءوس القوم عيون ،

وسيوفك من نومٍ طُبِعَتْ (*)

مَنْ سيقول : سيف الدولة ألقى الرعب بهم ،

فتهاووا .. يقتل .. يأسر ؟!

قِف يا خادم .. أسرعْ وارجع بالمتنبى ..

هذا يومك يا متنبى .. كدت ـ لعمرى ـ لا أتذكر !

لم أخرجْ من غيرك يوماً .. ما بالك عنى تتأخر !!

• أدركْ يا مولاى الخادم .. كاد ـ لإعياءٍ ـ يتعثر

ـ ماذا خلفك يا خادمنا .. أين الشاعر ..

أين المتنبى ؟ قل .. أفصحْ ..

• هذا الشاعر يا مولاى لم ينطق غير كليماتٍ .. لم يتردد

قال المتنبى : لن أحضر !!

١٩٨٧

(*) إشارة إلى بيت المتنبى :

كأن الهام فى الهيجا عيون ∴ وقد طبعتْ سيوفك من رقاد

الرحلـة

وحيداً تجالس طيرَ الشواطئ ، تالف ترديدَه للنشيد ،
وبَخُرُكَ ثورته لاتلين ،
تُسِرُّ إلى الموج فى كل ثانيةٍ : أن أفِقْ ...
فالعدو أمامك ، والبحر ...
والبحر يطوى أمانى الرجوع .. فماذا تقول ؟

وحدك أرّقَ صدرك حلمُ الرحيل ،
يقافز .. يسبق خطوك أنّى مشيت ،
توحـدّت الأمنيـات ، فصـرتَ تسـافر فـى النـوم والصحـو والحلـم والمستحيل، ونام الخليفة عن حلمك الذهبى ..
تراود عنه الخيال :
بلاداً وألسنةً وشعوباً تدين لملكك ..
فتحاً كبيراً سيُقْرَن باسمك ..

يفسده الوافدون :

وأين عَتادُك منهم ؟!

فيأبى ..

تلحُّ .. تلحُّ .. تؤكد :

حسب الجنود العزيمةُ درعاً ،

وحسبهم الأمنيات خيولاً ..

ويجتثُّ أطرافَ حلمك ، والرأس يلقى به تحت أقدامهم

ويحسو الجميع دموعك ..

يدمى فؤادك صوتُ ارتطام الكئوس ،

وتسحب آمال جندك ناكسةَ الرأس ..

وَحْدَكَ يرحل قلبك فى كل يوم لتلك البلاد ،

ويغزو ، ويفتح .. وينشر عدلاً .

وحدك فى كل يومٍ تراقص سرب النوارس ،

تبعث فيها نشيدك ..

وحدك يستأسد الحلم فيك ، فتدفن فى الموج سِرّكَ

ينقله ، وتراقب عودته باليقين ،

ولا .. لايعود

ويغضب غضبته الماءُ بعد رحيلك ..

يُلقى بزفراتِ لحنك بين الرمال التى لا تَنِى تتقافز ..

ترقبُ صدراً جريئاً يعيد توحُّدَها ،

ويدير كئوس انتصارك بين الجموع ...

١٩٩١

شــوق آخــــر

حطَّم كلَّ ذرا الأوهام ، وحلَّق يخطف ما يعترض خطاه ،
ويلقيها فى آخر عمق لم يكشفه الآن سواه .
ثم ترفق بوجيب القلب ، ورقّـق خطوته ، ومضى
ليزيح ستاراً بعد ستارِ
حتى ما عاد ليمنعه من أن يصل إليك سواك ..
هل أصل إليك ؟!
هل يصبح هذا الشوق بُراقاً ينسى الخيط الفاصل
بين الطين وبين النور .. النار .
ويعبر كهف الظلمة مهتدياً بأشعته ؟
هل يتلمس عندك سراً يشعرنى بحياتى ،
كنت تضن به ، والآن ـ وما عاد سبيل لخفاه ـ
انطلق يبشرنى ، ويبشر كل رفاق القهر بيوم نجاة ؟

هل أزمع هذى الرحلةَ ، أم يُصـْفَق من دونى البابُ ،

فأحترق ، ولا أرجع إلا برماد الخيبة
يخنق ما انتظرته الأنفس زمناً ؟؟

هل يقدر شوقى ؟

فيعود بهالات النور تحيط به ؟
أم يتدنّى – مثل جميع الأشواق –
وينسى ما انتُدِبَ لأجلِهْ ؟؟؟

١٩٩٣

قد تحدث فى أى زمان

قد تحدث فى أى مكان

فى القدس وفى أفغانستان

فى افريقيا ، أو فى لبنان

ليس مهماً أى زمان أو أى مكان ...

قصة قديمة

برج يعلو فى أعمق أعماق القرية

تسكن هذا البرجَ يمامة ..

تتلو ـ كل صباحٍ ـ ذِكرا

تحكى ـ كل مساءٍ ـ قصة

تجمع أهل القرية ليلاً تحكى القصة غير الأخرى

تأوى القرية لمضاجعها .. تحلم سكرى ...

أما الشاب فيحلم .. كيف .. لِمَنْ .. ومتى سيسوق المَهْرا

ثم فتاة تنظر فى مرآة حيرى

ثوباً أبيض .. طرحة عرسٍ .. زهراً .. زهراً

أما الشيخ فينظر كيف تكون الأخرى

والطفلة تجرى .. تمرح .. تلهو فوق الأعشاب الخَضْرا

ذات صباح .. فزعت ساكنة البرج العالى .. ما هذا ؟ !!

هل يقصف مسكنها الشامخ قصفاً .. قصفاً ؟!
ويُزلزل ويقوّض ؟ ما عرفت من قبل العنفا
جرح وجناح مكسور ينزف نزفا

نادت ساكنة البرج العالى سكان القرية
لا لن أنتظر مساءً .. بل أحكى ظُهرا
وتجمَّع سكان القرية لصراخ العش ..
الدم ينزف قطراً قطرا
والدمع يكسِّر نبرتها ، فتقول بضعفٍ وبلهفة :
اليوم سأحكيكم ، ثم ترون الصورة
قصة إنسان يحيا فى رائحة الدَّمْ
قصة إنسانٍ يحيا فى صوت المدفعْ
قصة إنسانٍ يقتل حلماً ويمامة
الدم ينزف قطراً قطرا
والرجل يقهقه منصورا
الآن لقد حزت النصرا !!

١٩٨٨

خـاطـرة

تَحُطُّ الأمانىُّ فوق احتمالى جناحاً ،
وتغمض جفنين طال اجترار العذابات بينهما .. تستريحْ
ولا يطرق القلبَ مِن بعدُ غيرُ الدقائق ..
رَجْع الهمومِ ، وخفقِ جريحْ
أراقب إيلالَه بين عدِّ الثوانى .. أُنَبِّهُ قلبى ،
فريح التمرُّدِ كادت تفوحْ
كيف يرضى بعينين ساكنتين ،
وجفنين ناما ، ورَوحْ ، ورُوحْ
تراءى يَدبُّ بها .. فاحذروا ...
خفقاتُ فؤادى حين يناوشها الهَمُّ ،
والصمتُ رانَ عليها .. تصيحْ
وتصبحُ ناراً مقدسةً تجرف اليومَ ، تُلْقِى به ذاهلاً
بين خطوات أمسِ جموحْ ...

١٩٩٤

السفينة .. تعود ظافرة

صَرَختْ أعماقُ النهرِ ،
فشقّت فى حلق الليل طريقاً
أطفأت الصرخةَ فيه ..
غَصَّ الليل .. تململ ..
جرجر آخر أذيال الخجل ..

انفتحت أهدابُ الكونِ على كوخٍ
يصحو وينام بحضن الغفلة من زمنٍ ..
فرَّ السكان بإيمان دفنوه بأعماقٍ
تقطر جوعاً ... خوفاً

فاستيقظ شيخُ الدار ، ونادى :
موعدكم يومُ الفُلْكِ ..
بقايا صنعة نوحٍ تكتمل الآن .. فهيَّا !

بعثرت الصبية أيدى الفرحة
تجمع ألواحاً .. وشت سطح الماء ..
المرأة تجدل صبرَ الأعوام ،
وتتلو أبياتاً من سِفْر العودة ،
والرجلُ يزاوج بين العزم الماضى وجهاد اللحظة ..
يُحْكِمُ ربط الأجزاء .. يطالع نجماً ..
أسقط خيطاً يخترق خشوعَ الموج ،
وينسكب .. يغطِّى أطراف اللهفة ...

وتهادَتْ ..
عند عناقِ الرملِ وثغر الموج عروساً
للحلم الراقد فى الأعماق ، وينتبه الآن ليطأ الأرض ...

حزموا ما يمتلكون ...
أمانى ، وأناشيدَ ، وقهراً
ألصق فوق العزم الجلد ...
ووثبوا ..

شَقَّتْ بهم الماءَ جنوداً
ترقب أبواب القرية ...
هل تستقبلهم بنشيد الفتح الهامس ..
تغمض عنهم أعينها ؟
هل أبلغت القوم رسائلهم ؟
أم شفعتها بقرابين الذلة ألقَتْها عند الأقدام الغاضبة ،
وتركتهم يحتفرون الأخدود ، ويذكون النيران ،
ويبكى الجسرُ المتهدم .. قنوات الحقل ..
حطامُ الأكواخِ الأمنيةَ الغرقى ؟؟

ما ثَمَّ سوى الصمت يجوز الأبواب
من القرية للنهر ، ويفتح أذرعه ،
ليمسَّ جنود الفتح الأرض الغائبة ..
يبثوا فى ضعف الأنفس شوقاً لحياة أخرى ..

وتلوح القرية ..
يكسوها ثوبٌ فضىٌّ ألقاه القمرْ عليها ،

والأشباح القادمة تلوح بالأغصان المورقة

استلبوها من حقل الحاكم

للقاء اليوم ...

١٩٨٩

من خواطري

الكون أغمض ذات ليلٍ جفنـــه ∴ وغفا على صدر الظلام النافــر
ومضى الخيال إلى الربوع مسافراً ∴ عبر الفضا..عبر المحيط الهادر
حتى تراءى جو مكـــة ، فانثنـى ∴ أنفاسها مُزجَت بعطرٍ آسـر
فهنـا .. استجاب الله دعوة بائسٍ ∴ وأراح لهفة مستذل حائـــــر
بعث الرسول ، وفى يديـه كتابـه ∴ رَوْحٌ سرى ، وسكينة للخاطـر
وتفجَّر الينبوع نوراً هاديـــاً ∴ فتزلزلت ظلمات روح الكافـر
وهوى البيان بمسمعيه يهزه ∴ ويمس عمقاً ذا شعورٍ طاهـر
فيسلِّم النور المبين قيـــاده ∴ ويميط عنه لثام حقدٍ سادر
حتـى دعـا اللهُ الأمين جواره ∴ فأجاب فى لهف المشوق الظافر
لكنـه ترك الكتاب لعصبـــة ∴ عرفت له حق الحكيم القـــادر
حملته لابين اليدين ، وإنمــا ∴ مسرى الدماء ، وخفق قلبٍ ثائر
وتفرقوا فى الأرض بغية نشره ∴ أمنـاً ، وعدلاً فوق حكم الجائـر

❋ ❋ ❋

وتلاحقت أعوام مجد ، وانقضت ∴ ليحل عصـر الهلاك الحاســر
أتباع ذا النور الكريم تناثـروا ∴ شيعاً .. أحلوا موضعاً للغـــادر

وتـزحزح القرآن عـن عرش له ∴ حين ارتخت أيديهمْ فى الحاضر
وتبعثرت كلماتـه صرعـى تعثَّـر فـى معانيهـا بمـوت دائـر
تطـأ السنـابـكُ أحرفـاً ومعانيـا ∴ للحق .. للحب الكريم العاطـر
الفجـر آذن بالمجـئ لتشهـدوا ∴ يوماً جديداً للصراع الخاسـر
بشراكمْ أتبـاع أحمد ، وانظـروا ∴ الويل ينذركم بقرب الآخر ...

١٩٨٨

السوق .. قائمة

ويرن بجرسٍ فى يده ، ويصيح النخّاس : هلموا
يا سادة ما عندى اليوم لم تنظر عينٌ مثلهمو
فهنا غلمانٌ وجوارٍ من قلب جبال القوقاز
أقبل يا سيدُ ولتنظر .. بيضاء مهفهفة القدِّ
وعيون نجلاء .. غدائر سوداء انحلت من قيدِ
وتساوى مائتى دينار .. من قال ثلاثاً فليبدأ
مائتين وعشراً .. لا بل مائتين وعشرين .. ثلاثين ..
من منكم سيزيد قليلاً .. مائتين وخمسين .. هنيئاً !
روحى يا جارية لسيدك .. امتثلت للأمر وسارت
أما هذى.. سوداء .. نعم ..لكن ذات غناء يسبى ترقص..
تشدو . . تعزف . . بل تنظم أشعاراً
هيا يا جارية تَغنَّىْ .. لحظات يا سادة تكتشفوا الأخبارا
وانفض السوق ، وعاد النخاس كليلاً ...
ويولى ، ويليه السلطان ووزراء القصر رحيلا

السوق تُرى من يعمرها ؟ من يفتتح البيع ؟ وكيف ؟
اتفق رجال ونساء أن تصبح سوقاً مفتوحة ..
قال النخاس قبيل الموت لنا سراً :
يوماً سأموت ، فماذا تفعلن تُراكن ؟
استمعى يا جارية النصح ...
" تعرضن هناك بأنفسكن بضاعتكن .. "

اتفق رجال ورجال : لن ندفع فيهن كثيراً ..
لن ندفع غير كليمات !!
اتفق نساء ونساء : لن نطلب منهم ديناراً أو دينارين ..
بل تكفى بعض النظرات !!

١٩٨٧

خــاطـــرة

إذا سكن الصمتُ قلبك يومـاً

وعشّش فى عمق أركانــه

وأسمعت للكون لحناً شجيـاً

عصياً على صخب سكانـه

وسالت مموسقةٌ فى حناياك

غنـوة طيـرٍ لأوطانـــه

فرددها الدم منك طويـــلاً

حنينـاً إلى بُعد أخدانــه

وطارت خلاياك فى كل أفق

لتربط قلـبـا بأقرانـــه

فثق أن قلبك مازال يحيـا

وأنك مازلتَ تحيا بـــه

١٩٩٧

ترنيمة أوزوريس

ايزيس

يا حلمى ،

ويا عطر انفجار قصائدى ..

يا صرخةً أغلقتُ دون خروجها كل الثقوب

بخريطة الدم أختبى ..

بظلال أوردةٍ تخايل فى يدى

عبر انكسارات النخيل أجرجر الشوق الندىَّ ..

على ضفاف النهر ..

يا لغةً لَهَثْتُ وراء معجمها العصىّ ..

وابْتَعْتُ بوصلةً تحدِّد قِبلتى

ولَّيْتُ يا إيزيسُ وجهى للمشارق ، والمغارب ،

والشمائل ، والجنوب ، وغاب وجهك ..

غاب وجهك ..

عدت ألتمس الطريق لمعبدى

ألزمتُ جبهتى السجودَ لكل تمثالٍ ..

أرَقْتُ تشوقى فى كل بابٍ ،

واحترقتُ بكل مجمرةٍ ..

تَضوَّعتُ الشذا فى كل أفقٍ ..

آه يا أيزيسُ

أين توحُّدى ؟!

لُمى إليك حروف عشقى ، وامنحينى قبلتى

إنى رتقتُ تغرُّبى ،

وضمدتُ بى جُرْحى ،

وجئتك بلسماً ..

أطفأتُ فى نهر ابتسامك ما جنيتُ

فهل طَهُرْتُ بتوبتى ؟؟؟

١٩٨٨

مرة أخرى

كم مؤتمرات عُقدت في هذي القاعة
والصحف تراصت خارجها تنتظر قرارات، الساعة
أضواءٌ .. تصويرٌ .. تسجيلٌ وإذاعة
حرسٌ في زي رسمي يغدو ويولي بنظامٍ
والخدم . وصينيات تملأ في لحظات ببراعة

آلاف الأعوام تولّت ، وتلتها آلاف أخرى
وحضارات الشرق انتحرت ، ثم المدنيات الكبرى
قطع من أحجار القمر تساقط فوق رءوس تترى
تثأر لتراب دنسه الإنسان إذا صعد ومرا
والسَّيْلُ يدمر أكواخاً ومنازل وقصوراً غرا
واشتعل فتيل داخل صدر كان يداريه طويلاً
حتى أحرق فيه الصبرا

أيامـاً صارعـت الدنيا مـوتـاً أحـدق بأمانيهـــا
لحظات تتوقع نصراً ، وتـغـيـب بحلـم يغريهـــا
فغدا تشرق شمسٌ أخرى تطوى الأحزان وتفنيها
وسيذكر أهل الأرض اسم أبيهم واسم الأم الأولى
تتفتح الأجفان على صوت الرعد
يزلزل أحلاماً ومعانيها !!

هـــدأت ثائـــرة الكون ، ونامت فـوق الأطـلال الغرقـــى
الصمت الموحش زار قبور الغرب .. مضى يزحف شرقـاً
حتى منتصف الأرض ، وفوق حطـام الجدران استـلـقـــى
والضـوء الشاحـب يرقبـه .. يـبـعـث فـى جـفـنـيـه الأرقـا
المـــاء الساكـن فــى الطرقـــات تجمـــد رغـــم حرارتــه
أنفـاس الكـون مُعـلَّـقـة بيـن الأجـواء كـمـن شُـنِـقَـــــا

اليـــــوم . . القـاعـــة خاليـةُ إلا مـــن صـمـــتْ
مائدة كُسِـــرَتْ أرجلها ، ومقاعدها ، ومكبر صوت
خُـنِـقَـتْ داخله أصواتٌ ، والساعة يغفو فيها الوقت
وبقايا الأكْؤُس والأكواب تناثر فى أرض الحجـــرة
تنطق بالموت

ينفض أسمالاً باليـة ، ويطـل يمينـاً ويســـارا
يبحث عن إنسان يخبره السر ، ويعرف مادارا
يظهر من جهة الشرق بلحيته ، وببردٍ وعقـالٍ
ويجرجر بالخلف إزارا
يتلوه الثانى ممتطياً فرساً مهزولاً
ممتشقــاً سيفــاً مصقـولاً بتــارا
والثالث مكفوف يبصر بالقلب مساراً ومســارا
ويليهم آخر فى زى عصرى يحمل أوراقاً . .
قلماً ، ويدوّن أشعاراً
ومن الغرب تراءت كوكبةٌ.. قدم أولهم نفسه :
من مملكة أرهقت العالــم إذلالاً واستعمـــارا
وبشعرى كم صورت نهاية هذى الأيام مِرَارا

وانعقد المؤتمر بلا حرس تحرسه ،
أو صحفٍ تنقل أخباراً
وبلا سُقُفٍ أو جدرانٍ تخنق فى الصدر الأفكارا
وبلغــة الشعــر اتحـدت كل لغــات الأرض ،

وكانت تفترق ديارا

أعلنّا من هذى القاعة أن الأعضاء المذكوريـــن
اتفقوا فى صوغ الآتى :
قررنا فى أول جلسات المؤتمر الأول للشعـــر :
وكما بدأ العالم ـ فى البدء ـ من الكلمـة
وكما دمَّر سكان العالم عالمهم ذا بالكلمة
سنكرر ـ نحن ـ بناء العالم طوراً آخر بالكلمة !!

١٩٨٦

الخيـــانـــة

موطنى ..

خطواتك فى الدم تسرى ، ولا تعتذر

والعروق توافقها .. ليس تنكر جرأتها ..

لم ولن تغترب ..

كنت أعلم أنك تلفظُ مَنْ أَنْكَرَكْ

مَنْ تَخَيَّر خبزاً سوى حنطَتِكْ

مَنْ تراءت لعينيه كأسٌ

تفيض نقاءً ، ولكنها من سوى خَمْرَتِكْ

فما بالُ قلبى رأى حفنة من تُرابِكَ ـ يعلم أنك دَنَّسْتَهُ ـ

أفضلَ الطُهْرِ ؟ ماذا ؟ لماذا ؟!!

وما عاد يبغى من الأرض طولاً وعرضاً سوى زاويةْ

ينتحى ركنها .. فى العراء .. ويكشف للنهر عن قلبه ،

ثم يبكى ، ويبكى ، ويبكى إلى أن تـذوب الدمـــوع ،

وتصبح قطراً نقياً

أيا واحةً ..

كنتُ أعصر عندَكَ حُلمى ، وأعلم أن ثمارك وهمٌ ،

وأنى أريق دمى فى صحارى ـ بلا ديةٍ ـ

غير قهقهة الرمل منى ، وسخرية الريح ..

مَنْ ذا يُجير طريداً ـ ويأبى سوى قرع أبواب قريته الظالمة ؟!

مَنْ يُقيلُ تعثره ـ وهو يحضن خنجره باسما ؟!

ويلوذ بأذيال قاتله ـ قد أراق ومنذ زمان ـ دَمَهُ ؟!!

١٩٩٤

عــرش الـمجــد

قديمٌ من العِزِّ ابتـغى من يقيمـــه

وعـرشٌ من الأمجـاد يبغـى المعاليــا

علا زمنــاً فى ذروة المجـد قائـداً

ونـبراس حــقٍ قـــد أذلَّ الدَّيـاجـيــــا

حدا ركبَ هذا الكـونِ نحو صلاحه

وأنفـــذ فيـه العـزمَ نصـــلانَ ماضيــا

غزوا .. فتحوا .. شادوا بلاداً جديدة

ليصبـــح أهلـوهـــا صحابـاً مواليــا

بدايــتـــه نـــورٌ ، وأوسطـــه هـــدىً

وآخـــــره عـــدلٌ يــــرد العـواديــــا

حديثُ من القرآن .. فعلٌ من التقى ..

حروبٌ لأجل الحق .. كم عاش صاديا !

لحريـــةٍ كبـــرى يضــــئ طريقنـــا

وينــزع مـــن قيـــد العقـول الخوافيــا

نبـــىٌّ هـو النبـع الذى يَرِدُونـــه

عطاشاً إلى نورٍ يضئ الصحاريا

فتصدر أنفسهم وقد رويت تقى

وأرسلت الإيمان للناس هاديــــا

وبشَّر بالحسنى أناساً سعوا لها

وأوعد مَن عن أمره بات ساهيا

❋ ❋ ❋

كراماً سعوا للنصر سعياً مظفَّراً

ويرخص فى الميدان ماكان غاليا

يقودهمُ للنصر أحكمهم نهــــى

يكرُّ إذا ما الكَــرُّ بات مواتيــــا

وإن لم يحـقـقْه التـقى برفـيقـه

فأكـرمْ بداعى الله للخلـد داعيـــا

وراحوا ، وظلت عاطراتِ ربوعها

حضارتهم زانت قروناً زواهيــا

وجيـل تلاهــم قـد تسلَّـم رايـــة

ليحفظها نصراً عظيماً دواليـــا

تقطّعت الأجناد شيعاً كثيرة

فريق لإخوانٍ يبيت معاديا

يدبّر ، لا لعدوه ، بل لنفسه

يكيد ، ولكن كيده ارتدّ مُرديا

فمات بسهم بات ليلاً يريشه

وأهلك ما لذماره كان حاميا

يذبّح طفلاً قد يكونون نسله

ويسبى نساءً قد يكنّ غواليا

* * *

سلامٌ على الإسلام إن غاض منهلاً

ورحماه لو جئتم إليه صواديا

فأنتم زرعتم نبع رحمته قَناً

رشقتم فؤاد العدل شهباً صواليا

فهيا احصدوا غرساً نَمَتْه حماقة

وروّته أحقادٌ ، فأصبح طاغيا

١٩٨٨

مازلتَ

مازلت تجرى فى دمى عمراً تلازمه البشاشة والصبا ،

وتحار نجوى العاشقين به .. تراه اخْضَلَّ من دمع المشيب ؟

أم انثنى يحوى فتاتَ الحلم ندَّاها التمنى والمحال ؟

فيمَ التَّوَلُّهُ يا حفيفَ الأمنيات الذاهبات ؟

وإلامَ أستدنى مسافاتِ

إذا قاربتُ شبراً سافَرَتْ فى الوجهة الأخرى زماناً ؟

ما وقوفى حول أطلالٍ تناوشها المعاولُ ـ كل حين ـ ..

أستميتُ على التراب بِقَبْضَتَىَّ ، وأدمعى ..

آمالِ عمرى ، والمحالِ ، وما بَنَيْتُ ، وما حلمتُ ، وما نزفتُ

لكى يعيشَ ، وأستميت ، ولا تحطِّمه المعاولُ

كى أذوب

أذوب

أرقصَ ـ رغم كل مخاوفى ـ

والشّوكُ يُدْمينى ، وحولى النارُ ، والجمهورُ

يرغب أن يُصَفِّقَ ..

أن يقهقه ..

أن يعيش ،

وأن أموت أنا ـ فلا بأسٌ ـ بلاعبةٍ تموت ... ؟

١٩٩٥

حُبِّى

حُبِّى بحرٌ ، فاسبح فيه ، ولا تسألنى عن عنوانى
سوف تظل تغوص وتطفو ، دون رسوٍ أو شطآن

* * *

كُنْ ملاحاً .. يعشق ثورة هذا البحر ولا يخشاه
كُـنْ غواصا .. تستهويه حياة الأعماق وتهـواه

* * *

حبى ثورة شعبٍ حرٍ .. عاش ظلام الأسر طويلا
حبى حريته الكبرى .. ساق الجيل إليهـا الجيـلا

* * *

كـن أنت الثائر لتنال شعاع المجـد ، وعز حِمَاه
كـن أنت القائد لمواكب هذا الشعب تجـاه منـاه

* * *

حبـى فكرة علـمٍ تبدو للأقوام إذا درسوهـا
سوف تفيض عليهم خيراً .. عند تعاونهم يجدوها

* * *

كـن أنت العالـِمَ لتذيع على الدنيـا أسباب هـــداه

كـن صـاحب فكرٍ فتضيئ سماء الفكر بوحى ضياه

❋ ❋ ❋

حبـى وحــى للشعــراء ، وكم ألهمهم عـــذب الشعـــر

عنترة ، وجميل .. قيس .. روميو كم بحثوا عن سرى

❋ ❋ ❋

كن أولَ من عرف السر ، ونظّم الشعر بهدى رؤاه

كـن أنت الشاعــر لتعلّم مـن يتلوك نشيـد هــواه

❋ ❋ ❋

حبـى قـدسٌ لا يدنــوه ســوى زهـادٍ أو رهبــــان

طرحوا كل خيال الدنيا ، وسموا عن طين الإنسان

❋ ❋ ❋

كن أنت الراهـب يتلونى للعبـاد بكل صــــلاة

كن أنت رسولاً لتعلّم قومك كيف يُحَب الله ..

❋ ❋ ❋

١٩٨٨

حكاية الكاتب جالس القرفصاء



جلستى طالت .. مللتُ المجلسا

لم أكن أبغى لنفسى محبسا

هى أوراقى التى رتبتَها منذ آلاف السنين

يومها .. أصبحت فى عقلى الكثير

فتناولت الدواة .. الريشة .. ثم أنطقتُ الوريقات الفِكَرْ

مار عقلى باللهيب .. كدتُ أسطر سر إسعاد البشرْ

فإذا قوم كثار قادمون

لم يكونوا فوق خيل .. لا .. ولا أصحاب سيف

لم تجلجل خلفهم آلاتهم

لم يثيروا أى نقع .. لم يروعوا أى طيف

رُكِّبتْ أعينهم فى الأقفية

صنعوا تحت السماء سُقُفاً من قهقهات عالية

ثم تدنو الكتل المشوهة

خرجت منها مئات ومئات من أصابع

أجلسوني عنوةً ... يضحكون

فتوسلت إليهم ... يضحكون

كدت أخنق .. أطلقوني .. يضحكون

لن تكونوا بعد موتى ... يضحكون

لم أعد أبدي حراكاً غير أنى

أخرس الدمع الشجىّ

كلما يرثي لقيدى ولعجزى أجنبىّ

آه ! من لى بفتى ينهضنى من مجلسى !

من يعيد النبض يسرى فى شراييني ، وينهى محبسى ؟ !!

١٩٨٧

لَيْتَنى

أنفقتُ ساعاتى أؤمل موعداً
قد خِلْتُ فيه سيلتقى القلبان
الليل أُشْهِدُه دموعَ صبابتى
واليومَ أقضى شاردَ الوجدان
حيرى .. ونور الفجر يهدى الكون
أجمعه ، ويهدى الخلقَ للإيمان
ظمْأى .. وعذب الماء يجرى سلسلاً
يروى صدى الأرواح والأبدان
ما حاجتى للنور يغمر مهجتى ؟
شوقى إلى نور الغرام دعانى
ما حاجتى للماء يروى غلةً ؟
ظَمِئى لكلمات الهوى .. لمعانِ
ماذا أقول له إذا جالسته
ماذا سينطقه إذا يلقانى ؟
أتراه يرجو أن يطول حديثنا ؟
أتراه ينتظر اللقاء الثانى ؟

أم راح يطـوى حبَّه فى قـلبـــــه
خوفَ الفراق ، وخشيةَ النسيان ؟

أم أنه يهـوى سـواى ، ويـلـتـقـــى
فى مقلتىَّ بطيفها .. فيـرانــى ؟

أتراه ـ مثـلـى ـ يستـقـى إلهامـــه
من منهل الحـب الذى أحيـانــى

هل بات ـ مثلى ـ حالمـاً بـلـقـائـنـا
أو ناظماً شعراً بلا عنــــوان ؟

أم هانـئـاً فى نومـــه ، مـسـتـمـتـعـاً
وأنا التى أرعى صدى الألحان ؟

فنظمتـهـا أنشـودة محـزونـــةً
تحكى عذاب الحب والحرمـــان

أتراه يطـرب لـو تَـلَوْثُ حروفـهـا
أم لن يقدِّرَ لوعـة الأحـــزان ؟

أتراه يدرك ما أعانــى مـن جـوىً
أو مـا أعالجــه من الأشجـان ؟

حكَمَ القضــاءُ بِـحُـبِّـهِ .. ياليـتـنــى
أرجو القضاءَ وحكمَه ينسانى !!

١٩٨٥

أغنية عروس الوادى



قَضَيْتَ بأن تُخَلِّص جذركَ المدفون بين حنان تربتنا ..
لتصبح نبتةً بريةً ظنَّت بأن تنمو .. بغير جذور ؟
رضيتَ بأن تبدِّل نسمةً نيليةً سكرى ..
تداعب خدَّ ليل الصيف .. تلثمه ،
بريح الثلج .. قسوته ؟!
رضيت بأن تبدِّل لون زهر الياسمين المنتشى أملاً
بلون الوحشة البارد ؟!
تبدِّدُ ليلك الشتوىَّ والصيفىَّ تبحث عن حروف الشعر ،
تفتش كل ما تلقاه : نظراتٍ ، وبسماتٍ بغير شعور ؟!
رضيت بأن تموت عروسك النشوى ..
تُكَفَّنُ فى ثياب العرسِ ..
يُنثَر زهرها المعقود باقاتٍ على قبر الأسى دمعا ؟
رضيتَ بأن تفارقنى ؟؟
رضيت بأن تبدل ثوب كتانِكْ

بوشيٍ لستُ أعرف كيف أغزلُه ؟

وتزهو بِهِ ؟

تظن بريقه المصنوع يعجبنى ؟

فأسعى كى أكون معك ؟!!

ولكنى .. عقدتُ جدائلى السمراء منذ طفولتى

فى سنبلات القمح .. ثم نَمَتْ ..

وخالط لون شعرى لونها اللامع

ولكنى .. مزجتُ نسائم الوادى بأنفاسى ،

وأطبقتُ العيونَ على أمانى الساكنين به ..

رضيت بأن تفارقنى .. ولكنى ..

سأصنع من فتات الحلم حلماً خالداً يؤتى

من الثمرات ما أهوى ...

١٩٨٧

محاورة (*)

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى
ولكان ـ لو علم الكلام ـ مكلمى
عنترة

أو يُلْجَمُ هذا الأدهمُ يا عنترةُ .. أأُلْجَم ..
وأنا ـ منذ تلألأ لونُك ـ أقسم معك الحلبة ، وسباق الخيل ،
وأنثر فى الأعين خلفى ذرات الذل ،
وأعدو فوق الهام أشيِّد صرح العبسيين ..
قبائل نجدٍ وتهامة .. ؟!!
أَوَ أُلْجَمُ يا عنترةُ الآن ، وكم أفرغتُ بجمجمة الليل قصائدك ،
وغنينا عبلة ، والخيمة ، ومها الصحراء ، ووجه البدر !
أو ألجم ، والخيل ورائى ترسل فى إثرى الغيظ ،
وما عاد سوى السد ، ونعتنق القمة .. ؟!!

(*) نشرت هذه القصيدة فى الديوان الأول سنة ١٩٩٤

يا عنترةُ تَمَهّلْ ..

طاوعتَ صديقاً يُجْرِى بسباق اليوم خيولاً عشرة !

يعرفنى من زمنٍ ...

يشتعل بصدرى الكَرُّ ،

فلا أدع مكاناً للخيل سوى موقع أرجلها تختلف ،

وتعرفنى خيله ...

كم خَلَّفْتُ برئتيها حسراتٍ أن تدنو من أثرى .

ألْقِ لجامى يا فارسُ ، كادت تدركنى نظرات الخيل ،

ويدركك العار .. انظرْ ..

يرقبنى ... يرقبك ...

يهدهد بين حناياه صراخ الفوز ..

يجهز تاجاً يقطر فوق جبينك خزياً

لا تنظره أنت ، وينظره الناس ، فيلقون حواليك فتات الكلمات :

الأدهم مُلْجَم	ألجمه فارسُــه الأعظــمْ
ألقمه القيد ، فلم ينطق	راسله النظر ، فلم يفهــم
ما عاد الفارسَ عنتَرةُ	ما عاد الفرس هو الأدهم
البشرى للخيل التاليــة	البشرى .. فالأدهم مُلْجَمْ

١٩٨٨

إلى طفلتي التي طالما تمنيتُها

أمانـــــي

فى ارتشاف النّدى ، وانتقال الرحيـقِ
انتظمتِ بقلب الهوى أغنية
فى التماع الدموع ، ولون البريق
ارتسمت بوجه الرؤى أمنية
واحترقتُ طويلاً ، لأطهرَ حتى أراكِ
تطوفين فى القلب ، أو تخطرين بأفق خيالى
عروساً يكللُها الحبُّ تنطقه فى جميع الحروف ،
وتهديه للكون حتى يحب كحبى ..
فتاتى .. أريقى بمخدعى السحرَ ،
والتقطى أعذب النبضات بقلبى ،
وصوغى قصيدك ..

كونى الخيالَ الذى لم أصُغْه بيومٍ ،
ولم يَحْوِهِ الورقُ المتناثرُ عندى

فتاتى .. قصيدتى الحلمَ ..
أعذبُ أنتِ من الحلم والوهم والأمنيات ..
يبسم ثغرك .. تنزاح عنى الهمومُ ،
وأبصر عقد المنى يتهادى ، ويخطر نحو فؤادى
ثم يبحر .. يقطر فى كل قلبٍ نشيداً ،
وفى كل خاطرةٍ فكرةً ..
آه يا حلمى الذهبى ... !!
آه لو كنت أحسن نظم القصيد !
لكنتُ نظمتُكِ شِعراً أصيلاً بقافيةٍ واحدة ،
وبعثتكِ فى كل قلب ليحفظه ، ويردده ..
غير أنى أشكل شعراً تقاطع أسطره ،
فترُى يقدرون على حفظه ؟؟

أمانى .. أحبك حين أحب حياتى ..

أحبك حين أزف إليكِ المنى ،

وأحبك حين أراكِ ، وحين أرانى

وحين تكونين وحدكِ فىَّ ..

١٩٩١

أمـــل !!

بسمةُ الكونِ داعبتْ كلَّ حلـــمِ
وغَزَتْ كلَّ مَفْرِقٍ بالأمانــــــى

باسماتٍ ، يهبن وعداً شهيـــاً
جسداً للأمنيـــــات الدوانـــى

لاسرابٌ هناك يُظْمى خيـالاً
بل نُـهَـيْـزٌ يفيـض دون أوان

فارتشِفْ ظامئَ الفؤاد ، وخَلٍّ
عنك ما عشتَه من الحرمـــان

❋ ❋ ❋

بسمةَ الكون ، يا رجاء الحياةِ
لم يزل فى الحياة قلبٌ يعانى

شفَّه الوجد .. لايطيق قياماً

مُحْكَمُ القيدِ..مُثْقَلُ الأكفان

باحثٌ طولَ عمره عن نشيدِ

يستميح الكلامَ غُرٌّ المعاني

يسأل القافياتِ لحناً جديداً

عَلَّه يرتوى من الألحان

فإذا حاز خِلْسَةً طيف لحنٍ

وأطاع الكلامُ بعدَ الجِران

وتوارى عن العيون ، وراح

يعالج ما به من الهذيان

استحال الغِناء نَزْفاً لديه

واحتسى مِ الهوى كئوسَ الهوان

وامَّحت عنده الفوارق بين

الصَّدحِ والنوحِ ، والرؤى والبيان

آه ! لو أنك اتئدتِ قليلاً

وانتهت عند بؤسه خطوتان

وتأملت كيف تذوى سويعاته ..

كيف تنزوى ، وتفنى الثوانـــى

لانحنى البَسْمُ والمراح رثـــاءً

وهوت منكِ فى الثرى دمعتـــان

١٩٩٨

خاطــــرة

حين انكفأ الجرح الساكن عمق القلب ..

انسكب الحلم ..

توغّل ..

أغرق آلاف الكلمات ..

تلعثم فوق شفاهى آخر حرف

حين امتدّت كفٌ تعدل وضع الجرح ..

انحسر المدٌ ..

وخلّف شطآناً أثقلها الألم الساكن أصدافَهْ

والتمع بريقٌ .. رف الحرف له ....

.... ونَطَقْت ..

تشكيل

أغْمَضَ فوق صدى أنّاتِ الأسرى جفنيه .. الليلُ
الباني فى أوردة الكون كهوفاً
ليعشّش فيها ...

كانت يده تلطم وجه الظلمة ذات يمينٍ وشمالٍ ،
ويدى تتحسّس وقع النور ..
التقتا ، وتعانقتا ،
ومضينا
نحفر للنور سراديب ، ونُسكِن فيها المقهورين ..
نشكّل من آهاتِ الثَّكْلَى لغَةً ذات حروفٍ .. كلماتٍ
تتأبىّ أن يحويها المعجم .. لايدركها
إلا من نقّاه الألم ، وألقاه بحضن الطُّهر شفيفاً

لغةُ أنْبَتْنـا من أحرفها اسمين جديدين ..
خواطرَ ، ونشيداً ، وقصيدة ..
اسماً يزرع فلسفةً فى جَذْبِ الأفئدةِ ،
والاسم الآخر يمسح عن عين الدنيا دمعاً مكتوماً ،

وخواطر .. عنىً .. عنه .. عن الشعر ..
الحب .. الأمل الساكن أعطافَ اليأس .. عنيدا

ونشيداً للفارِّين بجرأة خطوتهم نحو طريقٍ
قد يفتح أذنيه لصوتِ غير نقيقٍ ، وعويلٍ ،
وتخبُط أجنحة الظلمة

وقصيدة شعر
لى .. لو عَهِدَ إلىَّ بكل الشوق ، وراح بعيداً
وله .. لو دافعتُ ـ بكل قواى ـ محالاً أن ألقاه ، ولم أقْوَ ..
تمدَّد بالشارع طولاً .. عرضاً ، وامتدَّت أذرعه ..
ألفُ ذراعٍ سوداء تُلَمُّ وتُبْسَطُ ..
تغلق فى وجهى باب لقائهْ ..

للكون الحائر ينشد يوماً يترع بالآمال الحلوة
يقسمها بين الأطفال ،
يفاخر بقصيدتنا أحلام الشعراء بهجرتهم
نحو الفردوس الهائم فى الأخيلة يداعبها ...

لى ، وله .. للكون ، ولرفاقِ الظُلْمةِ
حتى لو جهلوا معنى الشعر ...

١٩٩٠

نـصـوص مقدّسـة

الله أكبر ..

من فوق مئذنةٍ تَرامى الصوت جهراً

فأجابه جرس الكنيسة .. أكمل الدقات عشرا

ـ الربُّ قال ....

ـ يا شيخنا .. إنى أصلى ها هنا منذ الصبا ...

ـ اصمت لتسمع وعظنا .. الرب قال : ...

ـ يا شيخنا ...

ـ ماذا إذن ؟

ـ أنا منذ جئت إلى هنا ، ووعيت ما تلقى لنا ،

لم أستمع غيرِ المقولة وحدها : الرب قال !

ـ أكفرت ؟!

ـ لا .. لكننى أبغى المزيد .

ـ يا أيها الزنديق أفصح .. ما تريد ؟ ما مهنتك ؟

ـ أنا عاملٌ يا سيدى من بين عمال البناء ..

أبنى المساجد والكنائس والبيوت ..
أقضى النهار بحمل أشياء ثقال ..
وأريح حملى بالمساء ..
عند الإله ..
أنا مؤمن .. أنا لم تضعْ منى صلاة ..
فحضرت وعظك سيدى علّى أعى معنى الحياة
لكننى لم ألق عندك ما أريد
عشرين عاماً سيدى ، ما قلتَ غير : الرب قال !
أو لستَ تدرى سيدى ماذا يقول ؟
أو ليس مكتوباً أمامك ما يقول ؟؟
ـ اصمت .. كفاك من الهَذَرْ
قد كدتَ تكفر يا فتى .. هيا اعترف بخطيئتكْ
فعسى ذنوبك تُغْتَفَرْ
ـ يا شيخنا .. لى كلمةُ ...
ـ يا مؤمنين بربكم .. هيا تعالوا للصلاة ..
الرب قال ... الرب قال ...

١٩٨٧

محاولـــة

كيف التَّغنِّى مرة أخرى ، ومازال انتثار الأغنيات
يدب فى قلبى دبيباً موحشاً ؟!
ولمَ التوجُعُ ، والأنين يرن يملأ كلَّ ركن غائمٍ ،
ويَغُلُّ فى عينىَّ دمعاً قد يخفف وطأته ؟!

كيف انتظامُ قصيدةٍ ، وحطام مكسورِ القوافى ليس يبرح ملعبى
ليؤدى الرقص العتيقَ ..
يعيدنى ـ قسْراً ـ لأحجل مثله ..
هيهات .. ما عادت فنون الشعر عندى غير ظن ..
شتان بين قصيدةٍ ومحاولة !!

١٩٩٥

مهداة إلى شهداء فلسطين

صلاة الشهيد



أضيئوا المشاعل خلف الجنائـــز

صلُّوا عليهم بكل اللغـــاتِ

وغَنُّوا لـمُفْتَتِحِ العام حزنـــــاً

وزُفُوا له أروعَ الحسـراتِ

وقولوا : بركنٍ من الأرضِ قومٌ

يُـــراد لهـــم أن يمـوتــــــوا

وما آن يَـغْـدُ أوان المـواتِ

فهيا نُشَيِّعـهـم بتـراتـيــــــل

هم نزفوها قُبَيْلَ الوفـاةِ

بأوراق الحضارة كَفَّنُونــا

وخلف جنازة النور ابعثـونا

ومن عطر التمدُّن عطرونا

وسُكُّوا للتحرر ألفَ بابِ

كفاكم مـــا صنعتم للبـــوارِ

ومـــــا أعليتمـوه للدمـــــارِ

ومـــا شرَّعتمـــوه لاحتضـــارِ

وعودوا ـ مثلما كنتم ـ ضوارى

تضيع خِرافُكم بين الذئـــاب !

لئن مِتنا ، وضُيِّعَتْ الحقـــوقُ

لئن غصَّت بصرختنا الحلوقُ

لئن نِمْتُم .. أبيتم أن تفيقـــوا

وأطفِئَ فى عيونكم البريـــقُ

فأَولَى أن تناموا فى التراب !!

١٩٩٦

دراسة بقلم د/ سيد قطب

مدرس اللغة العربية بجامعة عين شمس

عروس الوادي

نجوى الانفصال / نجوى التوحد



تعتصر كأس التشكيل الشعرى رحيق الذات الممتزج برحيق الفن فى كيان لغوى جميل يحطم هلامية العمر الضائع ويخترق حاجز الوجود الاجتماعى المحاصر ، ويجادل رموزاً ذات قوة دلالية تصل لحد الأساطير التى تفسر ملغزات الحياة وتجمع طرفيها الخالدين (المؤنث والمذكر) فى علاقة درامية مضفية على مفردات العالم كله هذه الثنائية الأبدية التى هى أصل كل ميلاد .. وجوهر كل خصوبة فاعلة دالة على قوة الجمال أو جمال القوة .

هذه هى قصيدة نجوى عمر تتخلق من ديوانها الثانى " أغنيات عروس الوادى " ومن حق " عروس الوادى " أن تغنى ، بعد أن أعلنت

أنها تتجاوز الوجود العلمي الذى تتفوق فيه ، والاجتماعى الذى تجادله ويجادلها رافضة لأى انكسار ، والإنسانى الذى فطرته وجسدته لتعرف مكانها فى فلكه المهيمن ، إنها الباحثة والزوج والأم والإنسانة ، وبالإضافة لذلك كله ـ بل وقبله أيضاً ـ " شاعرة " تمتلك وجوداً فنياً يحول ذاتها الإنسانية لأسطورة مغناة يرددها إيقاع الزمن ويسمعها الآخر متفقاً أو مختلفاً لكنه يستمتع بمنظومة تجلت فى فضاء المعنى ، مقاومة للضياع المتناثر الذى يجعل الآخرين " سائرين نياماً " أو وجوهاً فى زحام موكب الحياة ... استطاعت نجوى عمر أن تنفلت من زحام الضياع لتحلق فى خلود الإيقاع ... وإن تباينت المناطق التى تسطع فيها ... أحياناً كثيرة فى أفق فيروزى شاهق ممتد بلا حدود ... وأحياناً قليلة تتسلق ربوة صغيرة وتتعلق بسحابة تعلوها .

(٢)

" أقضى النهار بحمل أشياء ثقال ..

وأريح حملى بالمساء

عند الإله "

تمتزج ثنائية (الدال / المدلول) أو (البنية والمحتوى) أو (الشكل والمضمون) معاً فى ثلاثة سطور عبر بنية هرمية مقلوبة تساوى تماماً الدلالة ، الإنسان ببعديه الطبيعى الواقعى السلوكى من جانب والميتافيزيقى الروحى اليقينى من جانب آخر ، يسعى للتوحد ، توحد يجمع النهار بالليل ، أو الوجود المتغير السلوكى بالوجود الغيبى المطلق ، حتى يحدث التوازن وتتكامل رحلته ، ولكنه توحد يكاد يكون مستحيلاً فى وجود الدليل الزائف الذى يقف عقبة بين الأرض والسماء، ويسعى لأن يمتلك كلمات الله دون أن يعى معناها ، وهدفه أن تسجد الحياة له ، لأنه يتحدث بصوت يظن أنه إلهى وهو أبعد ما يكون عن ذلك ، إن امتلاك الآخر هو المحور الأثير الذى تواجهه نجوى عمر محاولة تقليصه إن لم تستطع تحطيمه ، فالحرية هى القضية ، حرية الاختيار الذى يوحد الإنسان مع شريكه فى الحياة (أياً كان هذا الشريك وأياً كان مكانه وموقعه ودوره وسلطته) ، حرية المساواة التى تجعل الاختيار قائماً على قناعة وندية إنسانية ، والقصيدة عنوانها (نصوص مقدسة) وهو عنوان ثرى يفجر مدلولاً صارخاً لكن بهدوء وهمس ، ليست القداسة فى الترديد الأجوف :

" فحضرت وعظك سيدى علّى أعى معنى الحياة

لكننى لم ألق عندك ما أريد

عشرين عاماً سيدى ما قلت غير : الرب قال
أو لست تدرى سيدى ماذا يقول ؟ "

إن امتلاك الحقيقة ، حقيقة المطلق ، حقيقة الفن ، حقيقة العلم ، حقيقة الحياة ، هى فاعلية ثنائية يتحول فيها الطرفان إلى مرسل ومستقبل لايقف فيها الدليل على رؤوس المريدين ، يقهرهم ، يطلب منهم فقط ، وهذه هى آفة مجتمعنا ، كل فى موقعه يسعى لأن يكون مالك الحق ، لأن يكون مسموعاً ، مناهج تعليم تجعل المتلقى حافظاً مطيعاً ، نقد يريد للإبداع أن يكون فى ملعبه لايتجاوز قانونه ، نظام إدارى يؤله الإدارة والمقاعد الكبيرة ، ونجوى عمر ، صوت الشعر المؤنث فى العالم الثالث تقف لتواجه التسلط ، وتكتب نصها ، نصاً إنسانياً يستمد من الإلهام الذى تستريح عنده بعد عبء النهار كلمة صدق يحيا بها الإنسان .

محور (الواقع والمطلق) ثنائية تسعى للتوحد ، بعد أن قررت الانفصال عن الصوت الزائف المسيطر ، والتوحد فى البحث الذاتى الذى يتجاوز كل دعى ليصل إلى جوهر كلمات السماء ، أما البناء الشكلى فيحمل ثنائية أخرى هى ثنائية (الواحد والمتعدد) أو (الغنائى والدرامى) ونجوى عمر تحمل منظوراً إنسانياً يمكنها من أن تحمل آلة

تصويرها السردية فى صوتها الغنائى لتقوم القصيدة عندها على تنوع صوتى يقترب بها من الدراما حيناً ومن عالم السرد بتقنية حوارية سينمائية حيناً آخر ، تفسح المجال لصوتين معاً ، فى " نصوص مقدسة" يشغل الصوتان مساحة فى فضاء القصيدة ، صوت الدليل السلطوى الآمر ، وصوت الإنسان المؤمن الباحث ، والدلالة تتقاطع بينهما ، مما يذكرنا بسوء التفاهم ، بصوتين كل منهما فى واديه يهيم ، مع أنهما وجه دلالى بمعنى واحد ، كلاهما يبحث عن الحق ، واحد منهما منتهك ومع ذلك لايخفت صوته ، والآخر متسلط لكنه لايقول الحقيقة وإنما يستهلكها . وفى " ترنيمة أوزوريس" تواجهنا ثنائية أخرى لاتخلو من قداسة مصرية وعمق أسطورى واستحضار لطرفى الحياة (المؤنث/المذكر) ، حيث يعود "أوزوريس" نادماً إلى محبوبته التى يتجسد فى رمزها دلالات الوطن والفن والمرأة والحقيقة ، وكأن قصائد "عروس الوادى" تستكمل ذاتها ، وكأن الدليل الخائن للحقيقة فى (نصوص مقدسة) هو (أوزوريس الضائع) الذى يقر بتوبته ويعترف بذنبه ، وكأن (إيزيس) هى جوهره من جهة وهى جوهر الوطن المستنزف بكلمات كثيراً ما تكون غير صادقة ، يعود أوزوريس حاملاً صدقه هذه المرة ، باحثاً داخله عنها ، بعد أن بحث خارجه ولم يستطع الوصول للحظة الكشف لم تتجل أمامه لأن نقاءه غير خالص :

ولّيت يا إيزيس وجهى للمشارق ، والمغارب ،
والشمائـل ، والجنوب ، وغـاب وجهـك ..
غـاب وجهـك ..
عدت ألتمس الطريق لمعبدى "

ثنائية الدراما قائمة ، واختفاء صوت (إيزيس) يعمق منها ولا يخفيها، ويتصاعد المنولوج الحاضر على لسان (أوزوريس) ليتحول فـى فضـاء الدلالة إلـى ديـالوج يكمله المتلقى لتكون اللعبة مشـتركة ، ولا يكتفـى الجمهور بفرجة قرائية .

والرمز عند نجوى عمر دال خصب عابر لمجموعة حقول دلالية تتقاطع فيه ويخترقها ، فإيزيس هى المرأة والحقيقة والفن وجوهر الوجود والوطن ، بينما أوزوريس هو الرجل والذات الشاعرة والإنسان والباحث عن الحقيقة .

(٣)

وإذا كانت ثنائية (إيزيس / أوزوريس) هى سعى للتوحد المفقود بين الذات والآخر ، حتى لو كانت هذه الذات هى الشاعر/الشاعرة ، وكان هذا الآخر هو الفن / القصيدة ، فإن ثنائيات

نجوى عمر تهيم فى أودية التاريخ بإيمان قنوع جوهره اكتشاف طبيعة العلاقات ، ورفض علاقة التسلط ، إنها تكتب ذاتها الأنثوية بذكاء وفنية دون صراخ أو نحيب ، وتتخذ رمزها من عالم الرجال لكنه يتوحد فى ذاتها الشاعرة لحظة الإبداع ، والرمز هذه المرة هو (المتنبى) والطرف الثانى فى ثنائية الفكاك من التسلط هو سيف الدولة ، سيف الدولة مع استدعاء تاريخه النضالى فى التجربة العربية التاريخية يرمز للتسلط ولا تغفر له انتصاراته ذلك ، لأن هذه الانتصارات ـ فى حقيقتها التى نتغنى بها ـ من صنع الآخر ، من صنع " المتنبى " ، ومن حق الآخر أن يكون له موقف ، أن يكون له وجوده الخاص ، لا أن يكون صوت سيف الدولة ، واسم " سيف الدولة " فى حد ذاته دال فريد للتسلط على الرءوس ، على العقل والقلم ، على الآخر الذى يجب أن ينحنى حتى لاينزع السيف رأسه ، مع أنه ـ هذا الآخر ـ هو الذى يصنع النصر ، مقاتلاً فى الساحة وشاعراً صانعاً للأسطورة :

" هذا يومك يا متنبى .. كدت ـ لعمرى ـ لا أتذكر !
لم أخرج من غيرك يوماً .. ما بالك عنى تتأخر !! "

ثنائية يدركها سيف الدولة وإن نسيها حيناً ، لأنه يعلم أن أسطورته رهن بكلمات المتنبي ، وتكون المفارقة ، أو لحظة التنوير ، أو إغلاق ستار الفصل الخاص بالقهر ، كلمة واحدة :

" هذا الشاعر يا مولاى لم ينطق غير كليمات .. لم يتردد

قال المتنبى :

لن أحضر "

أحقاً لن يحضر المتنبى ؟ أم أن الشعراء يقولون مالا يفعلون ، وأنه حاضر بالفعل طوال القصيدة حيث تماهت معه الشاعرة (إحلال ذاتى) وحاضر دراميا على لسان شريكه فى الثنائية (سيف الدولة) ؟ بل إنه يستكمل الحضور فى القصيدة التالية ، التى تفصلها عن القصيدة التى رفض الحضور فيها أربع سنوات ، فى قصيدة (الرحلة) ينطلق صوت الذات الشاعرة فى وحدة ترتحل فى عالمها الداخلى محاسبة ذاتها ، وكاشفة لعلاقاتها بالآخر ، وقد أدركت أن الشعر وحده ليس حلم الذات، وأن الكيان الإنسانى المنقسم على نفسه ، غير المتوحد ، له متطلبات تتصاعد لتطغى على إخلاصه للفن ، للحقيقة ، وأنه هو / الشاعر ، والخليفة ، وجهان لجوهر واحد ، فى علاقة التسلط التى لامهرب منها،

لأن الخليفة داخله لأن الشاعر / الشاعرة .. يسعى لامتلاك الآخر ، ولو كان امتلاكاً فنياً إلا أنه يرغب فى رؤية أثره على الآخر :

" توحدت الأمنيات ..

فصرت تسافر فى النوم والصحو والحلم والمستحيل ..

ونام الخليفة عن حلمك الذهبى "

وليس عجيباً أن يكون رمز المتنبى عابراً لأكثر من مدلول من بين هذه المدلولات الذات الأنثى ، لأن الجوهر المشترك بين صوت المؤنث فى هذه القصيدة وصوت أو (صمت) المتنبى هو الفن ، هو تشكيل الواقع فى دال أسطورى .

(٤)

وكما كان المتنبى غائباً حاضراً من خلال ثنائية (السلطة/الفن)، فإن نجوى عمر تتخذ من ثنائية أخرى (عنترة/الأدهم) رمزاً ومحوراً دراميا لمناقشة ثنائية الأنا والآخر مناقشة فنية ، عبر مناظرة عتابية ، تمنح فيها صوتها للأدهم ، بينما يختفى صوت (عنترة) الذى قال كثيراً، وعلى (الأدهم) الآن أن يتحدث ، ديالوج ناقص يكمله فضاء النص من

خلال مرجعية تاريخية تستدعى نصوصاً سابقة يصبح التناص مدخلاً إليها : " لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى

ولكان ـ لو علم الكلام ـ مكلمى

والسؤال ما الرموز التى يحملها " عنترة " و " الأدهم " و "الكلام" و " الشكوى " ؟ وماذا يضيف نص نجوى عمر إلى نصوص عنترة ليفسح التماهى مساحة دلالية ثرية تحمل موقفاً إيديولوجياً وإنسانياً للشاعرة ؟ .

أنا / المؤنث ، الفنان ، الشاعر ، المحكوم ، المساعد ، هو صوت الشاعرة الذى تمنحه للأدهم ، وعنترة / أنت ، الرجل ، الآخر ، الحاكم، الفارس ، هو الطرف الثانى فى الثنائية ، والانفصام بين الأدهم/عنترة ، ليس مطلوباً ، ولكن المطلوب هو الاعتراف للوجود ، هو الاستماع إلى الآخر ، صوت عنترة ـ على الرغم من إنسانيته ـ يستبعد ، أو يستعبد ، صوت الأدهم وينفيه ، مع أن للأدهم لغته الخاصة ، قد تكون لغة المشاعر ، أو لغة الجمال ، أو لغة الكر والفر ، وكان على عنترة أن يفك شفرتها ولا يكتفى بامتطاء الأدهم حاصداً مجده الشخصى ، ويصبح " اللجام " رمزاً لقهر الصوت ، مع أنه من حقل الخيل ، دالاً مناسباً يحمل مسحة استعارية بتورية بديعة :

" أوَ يلجم هذا الأدهم يا عنترة .. أأُلجم ..
وأنا ـ منذ تلألأ لونك ـ أقسم معك الحلبة وسباق الخيل ،
وأنثر فى الأعين خلفى ذرات الذل ،
وأعدو فوق الهام أشيد صرح العبسيين
قبائل نجد وتهامة .. ؟ !!

وتتسع الرموز لتفسيرات ذاتية أو اجتماعية أو تاريخية أو سياسية ، ولكن يظل جوهر البناء الفنى واضحاً ، درامية ترتدى ثوب الغنائية ، وحوار ثنائى ، طرفه حاضر وطرفه الآخر مستحضر ، وصوت الشاعرة يتحد بصوت الأضعف ، والالتفات النحوى فى السطر الأول يحمل تنويعاً فى وجهة النظر ويسمح بالانتقال من حقل التاريخ إلى آفاق حاضر الذات ، ليصبح التوحد بين الذات الشاعرة والأدهم موازياً للانفصال المؤقت بين طرفى التاريخ (عنترة/الأدهم) ، وكم بيننا من عنترة وكم بيننا من أدهم ! تحتم عليهما أن يكون فى كفتى ميزان يعلو أحدهما فوق الآخر ليسطر مجده على ظهره أو أشلائه ، ولكن هل سيكون الأدهم أكثر سعادة لو أعلن رفضه التام ؟ وهل سيكتب مجد عنترة إذا تخلى الأدهم عنه ؟ إنها ثنائية لايمكن أن تنحل لأن إرجاعية العلاقات الإنسانية فى الشرق مازالت تحمل شيئاً من الحميمية من جهة

والتسلط من جهة أخرى ، وليس القلب الشرقى بصياد وحيد ، ولكنه معذب فى شَرَكِهِ مع شريكه فى الوجود (مع تنوع إرجاعية هذا الشريك) مع ذلك فالثنائية فى بعض الأحيان قد تكون أكثر إيجابية من الانفصال ، مع الوضع فى الاعتبار ـ بالطبع ـ أن ثنائيتنا داخلنا ، فالإنسان الواحد بداخله عنترة والأدهم معاً فى كثير من الأحيان ، كيف يتم التوحد ؟ أو على الأقل الاعتراف بوجود هذا ووجود ذاك ؟

إنه السؤال الملح فى " أغنيات عروس الوادى " ..

د/ سيد قطب

المحتويات

الموضـــــوع	رقم الصفحة

رقم الإيداع	٩٨ / ٨٨٨٧
الترقيم الدولى	I.S.B.N. : 977-19-6371-6

مطبعة يو . تى . برس

ت : ٤٦٩٥٤٧٨



المؤلفـــة

- من مواليد محافظة المنيا ١٩٦٤م .
- حاصلة على دكتوراه فى اللغة العربية وآدابها من جامعة عين شمس ـ كلية الألسن .
- صدر لهـا ديـوان شـعر بعنـوان (وشـاعرة) ١٩٩٤م .
- صدر لها كتاب نقدى بعنوان (سياحة فى أدب زكى نجيب محمود) ١٩٩٥م .